



من فقه التوريث ، هل يستقيم الظل والعود أعوج؟!

الملف السياسي لمصر في عهد مبارك (8 - 9)

بقلم: رائف محمد الويشي

5 مارس 2010

نواصل فتح ملفات عهد مبارك من خلال دراسة أعدناها مكونة من تسع حلقات بعنوان " من فقه التوريث : هل يستقيم الظل والعود أعوج؟! " ..
تحدثنا في الحلقة الأولى عن نهب أراضي مصر ، في الحلقة الثانية تحدثنا عن سرقة القطاع العام من خلال بيعه بثمن بخس لصالح " واجهات " تدور في فلك مبارك وعائلته ، في الحلقة الثالثة تحدثنا عن ملف صحة المصريين خلال العقود الثلاثة الماضية ، وهو ملف كارثي بكل ما تحمل الكلمة من معاني لأن خطورته تكمن في أن صحة المواطن هي الضلع الأول في الأمن القومي للدولة ، في الحلقة الرابعة تكلمنا عن التعليم - الضلع الثاني للأمن القومي للدولة - في عهد مبارك ، وأوردنا تقارير المتخصصين التي تؤكد انهيار التعليم وفساده في عهده ، في الحلقة الخامسة تكلمنا عن الملف الزراعي لمصر في عهده والذي يندثر بثورة للخيز ، وفي الحلقة السادسة تكلمنا عن الملف الاجتماعي للمصريين في عهده وأوردنا تقارير المتخصصين التي تؤكد انهياره ، وفي الحلقة السابعة تكلمنا عن ملف حقوق الإنسان المصري في عهده ..

سنفتح اليوم الملف السياسي لمصر في عهد مبارك .. لا يمكن أن نفتح الملف السياسي لمصر في عهد مبارك إلا من خلال الرجوع قليلا إلى الوراء ، كي تكتمل الصورة في وضوحها ونكون في أقرب مكان محالين معرفة حقائق الأمور ، شرط أن نكون بعيدين عن التعصب ونتمسك بحيادية الباحث عن الحقيقة ..

مثل موقع مصر الجغرافي كنقطة وصل بين الشرق والغرب أهمية كبيرة للقوى الكبرى في ضرورة السيطرة عليها ، وجاءت قناة السويس التي افتتحت في عام 1869 لتزيد وبتدرج كبيرة من أهمية مصر على المستوى الدولي ، ومعها زادت الدول الغربية من نشاطها للسيطرة عليها لضمان استمرار مصالحها ..

وبلغت أهمية مصر الإستراتيجية الحد الأقصى دوليا بعد أن أنشأ الغرب بعد أن أنشأ الغرب الكيان الصهيوني في موضع مفصلي في الجسد العربي ، وذلك لما يمثله حجم مصر من تحدى لهذا الكيان كأكبر دولة عربية في السكان وأقواها عسكريا .. ومعروف لعامة المصريين سيطرة قوى الاستعمار على مصر الملكية ..

جاء عبد الناصر ومثل طموح المصريين في الخروج من سيطرة الغرب ، بذل جهدا كبيرا في محاولة استقلال القرار المصري وأن يكون نابعا من مصر ولصالح شعبها .. توسعت في الوقت نفسه مشاريع التنمية في كل أنحاء مصر وعلى مختلف الأصعدة ..

مثل عبد الناصر عقبة كبرى أمام الدول الغربية في طريق تحقيق هدفها بالسيطرة على مصر ، أسرعت تلك القوى من مجهوداتها في سبيل إعادة مصر إلى حظيرتها وعملت في تلك المرحلة على محورين :

المحور الأول : كان يمثل العمل من خارج الحدود المصرية وذلك على مرحلتين : المرحلة الأولى كانت بتشجيع إسرائيل على

الاعتداء على مصر بهدف إشغالها فكريا واستنزافها ماديا ، والمرحلة الثانية كانت بوقف تمويل السد العالي بهدف تعطيل خطط تنموية ملحة ..

المحور الثاني : يتمثل في اختراق الثورة من الداخل بتجنيد بعض عناصرها بغرض انقسامها وإسقاطها من الداخل ، كان هذا المحور يعمل في ذات الوقت مع المحور الأول ..

كان الملفت للنظر أنه بينما فشل المحور الأول بمراحلتيه في إسقاط الثورة وأدى إلى نتائج عكسية تماما - حتى مع وجود نكسة عسكرية كبيرة في عام 1967 - حيث زاد من تمسك الشعب بقيادته ، إلا أن المحور الثاني نجح نجاحا منقطع النظير في إعادة مصر إلى أحضان الدول الكبرى ، وانتهت مرحلة استقلالية القرار المصري بالرحيل الغامض لصاحبها في عام 1970 ..

أرجو أن يعرف القارئ أننا لسنا هنا بصدد الدفاع عن الثورة ، الثابت أن الثورة قد ارتكبت عدة أخطاء فادحة تمثلت في انتهاك حقوق الإنسان وتفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة ، خاصة في قطاع القوات المسلحة ..

لقد أيقن عبد الناصر أن رجال الثورة لم يكونوا على قلب رجل واحد ، لكنه لم يدرك أن الثورة مخترقة من دول الشرق والغرب .. لقد تولى القطاع المدني وأبدع فيه أشد إبداع ، وترك - مضطرا - القطاعين الشرطي والعسكري لرفاقه " الفاسدين " حتى لا ينقسم الجيش وتآكل الثورة أبناءها ..

الثابت أن رفاقه في الثورة تخلوا عن مسؤولياتهم بشكل فاضح وتعرضنا للهزيمة العسكرية التي قسمت ظهر أبناء الأمة العربية ومازلنا نعانى منها من خلال احتلال كل من الضفة الغربية - بما فيها القدس - والجولان ونزع سلاح سيناء ..

أدرك عبد الناصر بعد أن أنهكه صراع القوى الكبرى أن البلد تحكمها عصابة من الفاسدين ، كان يردد في عقده الأخير تلك العبارة أمام المقربين منه (جمال حماد في حلقات شاهد على العصر بقناة الجزيرة) .. صحيح أنه كان كثيرا ما يصل الليل بالنهار في مكتبه يتابع البناء في كل المواقع ، لكنه في النهاية فرد واحد ومحاصر خارجيا وداخليا أمام قوى تزيد عنه في العدد والعدة ..

حقق عبد الناصر في القطاع المدني الذي تولاه معدلات تنمية لم تصل إليها أي قيادة مصرية من بعده ، ورحل ومصر مدينة بمبلغ مليار ونصف المليار دولار فقط في ديون أغلبها عسكرية ..

لقد قاوم عبد الناصر كل المحاولات لترويضه أو إفساده بغرض السيطرة عليه .. لم يكن يشرب ولم يكن زيرا للنساء ولم يكن يهوى نهب ثروات بلده ، هذه هي ثلاثية الإفساد التي يمتلكها الغرب ويبدع في تجريبيها مع كل قائد يلتف حوله شعبه ، فإذا رفض ارتكاب تلك المحرمات فإنهم يتحالفون جميعا لإسقاطه .. كان يتمتع بجهاز مناعي من طبيعة خاصة لا يمتلكه إلا الثوار الحقيقيون ، وفشلت معه كل محاولات قوى الخارج ورجالهم في الثورة المخترقة في الوصول إليه من خلال تلك الثلاثية ..

تبقى في جعبة الغرب سلاح واحد سريع الفاعلية ، وهو سلاح اختراق الثورة من الداخل وسقط عبد الناصر داخل عاصمته ، وجاء السادات الذي كان الرجل الخفي للغرب داخل الثورة المصرية ..

(صرح الصحفي الأمريكي الأكثر شهرة بوب وودورد في 25 نوفمبر 1977 في صحيفة الواشنطن بوست أن السادات كان يعمل لصالح المخابرات المركزية الأمريكية الـ C.I.A منذ منتصف الستينات ، وقد أعلن الصحفي المذكور أكثر من مرة أن الرئيس الأمريكي آنذاك جيمي كارتر قد ألح عليه لعدم نشر ذلك لما قد يتسبب من تعريض المصالح الأمريكية للخطر ، لكنه أصر على النشر) ..

لقد كان أعداء جمال عبد الناصر موجودون خارج حدود مصر ممثلين في أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية والفرنسية والإسرائيلية .. كانت خطتهم واضحة وهي الخلاص منه ، لم يكن ليتركوه ليحقق تضامن عربي وطفرات اقتصادية واجتماعية ..

وبينما كان السادات ومن بعده مبارك مرحب بهما خارج حدود مصر - وعلى الأخص في دول تلك الأجهزة الأمنية السابق ذكرها - فإن عدوهما كان داخل مصر ، كان الشعب المصري نفسه ..

لقد تحقق لتلك الدول الأربع ما أرادوه ورحل عبد الناصر من داخل عاصمته بعد أن فشلوا في إسقاطه عبر الحدود ، وما زال رحيله

يلقى بأسئلة لا تنتهي (راجع الحلقة الرابعة من سلسلة " حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة " لكاتب المقال) ..

نستطيع تقييم دور مصر السياسي في المنطقة في ملفين :

الملف الأول : دور مصر الشرق أوسطى .. يحتوى هذا الملف على مسارين وهما مسار العمل العربي المتمثل في التضامن العربي ، ومسار الصراع مع إسرائيل المتمثل في قضية فلسطين ، والتي هي لب الصراع ..

الملف الثاني : دور مصر الأفريقي .. ويحتوى هذا الملف على مسارين أيضا وهما المسار السياسي مع الدول الأفريقية ككل والمسار المائي مع دول حوض النيل ..

يستطيع إذن القارئ وبسهولة أن يقوم بتقييم عمل كل رئيس جاء لمصر بعد الثورة من خلال أدائه في هذين الملفين ذات المسارات الأربعة ، ليعرف فشل أو نجاح أي رئيس مصري في عمله :

* تقييم أداء عبد الناصر :

- أدرك عبد الناصر ومنذ سنوات الثورة الأولى أن قوة العرب في تضامنهم فأطلق شعار القومية العربية .. احتضنت الجماهير العربية هذا الشعار من الخليج إلى المحيط .. تنبته القوى الغربية إلى خطورة هذا الشعار على مصالحها والتي هي عبارة عن استغلال موارد المنطقة من خلال العروش الموالية لها ، وبقاء إسرائيل ..

إن فكرة القومية العربية - ولو حتى عن طريق المصالح الاقتصادية المشتركة - ما زالت هي الأمل الأقرب إلى التنفيذ في قلوب الملايين العربية .. هناك القومية الأوروبية التي تحققت من خلال السوق الأوروبية المشتركة وضمت 27 دولة مختلفة في الدين واللغة وحققت لشعبها الرخاء ..

إن الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي تمر بها اليونان هذه الأيام وتكاتف كل دول السوق لحلها لهي أكبر دليل على تعاطف تلك الدول فيما بينها لحل مشكلاتها وتحقيق الرخاء لشعبها .. أما نحن فرغم وحدة الدين واللغة والأهداف ، إلا أن الأمر يشبه إلى حد بعيد بسجن كبير يقوده مجموعة من الطغاة والفاستدين ..

- أما بالنسبة لقضية الصراع العربي الإسرائيلي في عهد عبد الناصر ، فالمتتبع لخط الصراع يتبين له أن إسرائيل كانت تهزول وراء العرب من أجل إنهائه لثقتها أن التضامن العربي يهدد وجودها .. مازال شيمون بيريز على قيد الحياة ، هو الذي صرح أكثر من مرة بأن إسرائيل عرضت على عبد الناصر " أربع أو خمس مرات " الانسحاب الكامل من سيناء نظير " هدنة " مع مصر ، وقد رفض عبد الناصر هذا العرض لأنه كان على ثقة بأنه سيدمر التضامن العربية لو قبل به ، وهو ما كانت ترمى إليه إسرائيل كي يتسنى لها الاستيلاء على فلسطين بإخراج مصر من دائرة الصراع ..

- وأما المسار السياسي لمصر المتمثل في عمقها الإفريقي في عهد عبد الناصر ، فهو ملف مضيء ومشرف بكل المقاييس .. مصر ساعدت الكثير من الدول الإفريقية على التحرر من الاستعمار وكان عبد الناصر زعيم إفريقيا بلا منافس ..

- ويعتبر المسار المائي لمصر في حوض النيل توءما للمسار السياسي ، يزيد بقوته ويضعف بضعفه .. نستطيع إذن أن نقول أن الموقف المائي لمصر في عهد عبد الناصر كان قويا أيضا وصلبا بسبب صلابة العمق الإستراتيجي لمصر في أفريقيا ..

* تقييم أداء السادات :

- كان التضامن العربي في النصف الأول من حكم السادات ما زال صامدا وقدم العرب كل المساعدات المتاحة عسكريا لمصر في حربها مع إسرائيل في عام 1973 (اقرأ الحلقة الخامسة من " حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة " لكاتب المقال لتتعرف على حجم المساعدات العسكرية العربية لمصر) ..

كما يعترف السادات نفسه عن عدم تقصير العرب معه بعد الحرب فيقول في كتابه " البحث عن الذات " والذي أصدره بعد الحرب

ما يلي : " حكمتك يارب ، كل الناس في العالم العربي بيأخذوا دلوقتي أوامر مني ، أقول أي شيء فيقولون حاضر يافندم " ..

الثابت أن السادات قد دمر هذا التضامن العربي عندما زار القدس المحتلة ثم وقع اتفاقية السلام مع إسرائيل .. لقد وعد الشعب بأن تلك الاتفاقية ستحقق الرخاء لمصر وأن عام 1980 سيكون هو عام الرخاء للشعب المصري .. لكن الواقع على الأرض كان يدل على أن العكس هو ما حدث تماما .. مشكلات مصر تفاقمت وعلى جميع الأصعدة بعد التوقيع على تلك الاتفاقية ، وقد رأى ذلك السادات بأم عينه قبل أن يرحل ..

أدرك السادات الفشل الذريع الذي جلبته سياساته على مصر ، وأخذ المثقفون منه موقفا سيئا ، كرهوا سحنته وشنوا عليه الهجوم بعد الهجوم .. كان رد السادات على غضب شعبه هو مزيد من الهروب إلى الأمام بالانحياز إلى السياسة الأمريكية والتي وصلت إلى فرض التوصيات عليه ، لناخذ مثلا على ذلك وهو استقباله لشاه إيران رغم رفض جميع الدول التي تهيمن عليها الإدارة أمريكا استقباله ..

- أما دور مصر الأفريقي في عهد السادات فقد شهد المسار السياسي بعض التدهور بسبب إعادة الكثير من الدول الإفريقية لعلاقتها السياسية مع إسرائيل بعد أن بادر السادات بها ، بينما بقى المسار المائي متماسكا ، ربما بسبب أن الخطة الإسرائيلية كانت تنتظر بعض الوقت لحدثة اتفاقيتها مع مصر ..

* تقييم أداء مبارك :

تولى نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك الحكم بعد رحيل السادات .. كان قد تم ترويضه جيدا أثناء فترة تجهيزه كقائد .. عرف كل من الغرب وإسرائيل جميع نقاط ضعفه .. أنه يشبه إلى حد بعيد رؤساء جمهوريات الموز في أمريكا الجنوبية الذين أغرقوا بلادهم بكرة القدم والدعارة والخمر كي يتسنى لهم اغتصابها ..

أفرغ مبارك منذ سنوات حكمه الأولى مصر من ثقلها السياسي ووضع طريقا ثابتا أمامه يقوم أساسا على التعامل مع الشعب من خلال احتقاره والاستعلاء عليه مدعوما بالقوة الأمنية ، نضرب مثلا على ذلك هو تمسكه برجال يكرهم الشعب إلى حد بعيد وطغيان الانتهاكات في حقوق الإنسان ..

- كانت آفة عبد الناصر التي دمرت أهداف الثورة هم رفاق السوء من أعضاء مجلس الثورة ، بعضهم تولى ملفات عسكرية وأمنية فأفسدها وتسبب في هزيمة نكراء ، وبعضهم تأمر مع قوى الغرب كطابور خامس فأجهز على الثورة من الداخل عندما تلقى الضوء الأخضر ودفع عبد الناصر شخصا الثمن بتصفيته جسديا ..

- وآفة السادات كانت اتفاقية السلام التي وقعها مع إسرائيل ورميه بكل أوراق القضية في دائرة النفوذ الأمريكي ، وقد أفسد كل منهما القضية وزاد من تدهور مصر على جميع الأصعدة ، خاصة الاقتصادية والسياسية ..

- أما آفة مبارك ، فهي بحر من الظلمات والعمالة التي تستند على الطغيان والفساد ، وقد ضم لهما التوريث في العقد الأخير ، وهو ما أدى في النهاية إلى أن تفقد مصر جميع أوراق دورها الريادي في المنطقة والمتمثل في المسارات الأربعة سالفة الذكر ..

كان مبارك يعلم منذ سنوات حكمه الأولى أنه لا يملك كاريزما سياسية لتحقيق طموحات شعبه ، فاتجه بكل قوته إلى اللعب على الحيل من باب السمسة السياسية لتدعيم مكانته الشخصية ، تجلى ذلك بصورة واضحة في العراق والسودان واليمن وليبيا ومع الفلسطينيين على وجه الخصوص ..

كما كان يعلم ومنذ أن كان نائبا أن شعبه يكرهه ويطلق عليه النكات التي تليق به ، وقد ساهمت تلك العلاقة العدائية التي بين مبارك وشعبه وبصورة كبيرة في تدهور دور مصر السياسي ، حيث خصص مبارك جزءا كبيرا من مجهوده لتأمين نفسه لمعرفته المطلقة أنه قد تولى عملا لا يستحقه ..

- مصر في عهد مبارك لم تعد الشقيقة الكبرى أو حتى الصغرى ، تنازلت مجبرة عن دورها العربي الذي تسلمته السعودية منها وبجدارة .. لم تعد مؤتمرات القمة العربية في عهده إلا ساحات بقيادته لصب الزيت على النار بين القيادات العربية وصنع الفتن

والمكائد هنا وهناك وبأوامر أمريكية أحيانا أو إسرائيلية أحيانا أخرى ..

- مصر في عهد مبارك أصبحت صهيونية التصرف والسلوك رغم كونها عربية الشكل واللغة .. تشارك الإسرائيليين في خنق أهل غزة ، وتضع الأسافين والخلاطات بين الفلسطينيين لمنعهم من تقوية جبهتهم الداخلية وتتنحز – بأوامر أمريكية - للطرف الذي يفرط في الحد الأدنى من الحقوق والثوابت ، وتعطى الكيان الصهيوني الغاز المصري ..

لا يوجد عاقل في هذا الكون يصدق أن يعطى مبارك الغاز المصري – المحدود في الأصل - إلى إسرائيل بسعر أقل من 2 دولار للوحدة بينما سعره العالمي يزيد عن 12 دولار ، الكارثة أن تتم الصفقة لمدة 15 سنة قادمة وليست سنوية ، والكارثة الأكبر أننا نستورد نفس الغاز من الجزائر بالسعر العالمي ..

حديث مصطفى الفقى – أحد أركان النظام – لصحيفة المصري اليوم في 12 يناير الماضي أوضح كل شيء ، فقد قال أن الرئيس القادم لمصر لابد أن ينال رضي إسرائيل وأمريكا ..

- مصر في عهد مبارك لم تعد تهتم بحضور مؤتمرات القمة الأفريقية ، ولم تعد تهتم بحل خلافات الدول الأفريقية السياسية والاقتصادية كما كان يفعل عبد الناصر ..

- مصر في عهد مبارك دخلت مرحلة الفقر المائي ، لأن إسرائيل – صديقة مبارك والتي لها الكلمة الفصل في تعيين رئيس مصر القادم – تلعب كما تشاء في الساحة الأفريقية – الظهير الإستراتيجي لمصر - وتبنى السدود لكل من يرغب كورقة ضغط لقسم ظهر مصر في المستقبل إذا خرج الرئيس القادم عن طوعهم ..

مصر التي كانت تهدد بالتدخل العسكري ونسف أي سد يقام على النيل في أي دولة من دول الحوض ، لم تعد الآن تخيف أحدا لأن نظامها الحاكم مشغول حتى رأسه بتأمين وجوده على صدر شعبه الذي يكرهه وسرقة أو هدر ثروته ..
لقد أدرك مبارك أن بقاءه في الحكم مرهون برضاء أمريكا عليه وحمايتها له لاستمرار وجوده على صدر شعبه ، فرمى بكل ثقله نحوها لتحقيق مصالحها الخاصة ..

ونختم هذه الحلقة بتقارير وتصاريح صدرت من مراكز بحثية متخصصة :

1- أوردت أكبر مجلة متخصصة في الشؤون السياسية الدولية وهي مجلة Foreign Policy التي تصدر عن معهد كارنيجي للسلام الدولي تقريرا في عام 2006 عن أسوأ دول العالم تدهورا.. فطبقا لتقييم أجرته المجلة المذكورة في شهري مايو ويونيه 2006 فقد احتلت مصر المرتبة 31 لأسوأ 148 دولة في العالم بنتيجة 3.8 درجة من مجموع عشر درجات ..

لقد أعد التقييم المذكور أكاديميون متخصصون استنادا إلى بيانات من مصادر أمينة وموثوق فيها كالبنك الدولي وبرنامج التنمية البشرية التابع للأمم المتحدة وذلك استنادا إلى 12 مؤشر وهي : الضغط السكاني - اللاجئون والمهجرون - معانات الجماعات - النزوح البشرى أي هجرة السكان - التنمية غير العادلة - التراجع الاقتصادي - تفكك عرى الدولة - الخدمات العامة - حقوق الإنسان - حالة الأمن - انقسام النخب إلى فصائل - التدخل الخارجي ..

2- أما أ.د عبد المنعم المشاط مدير مركز البحوث والدراسات السياسية في جامعة القاهرة فقد صرح في يونيو 2008 بما يلي :
" إن الدور المصري في تراجع دائم بسبب عدة عوامل أهمها تردّي القدرات الداخلية ، مما أدى إلى تراجع الإرادة السياسية واختصار العمل السياسي في مجموعة من الرموز ، بالإضافة إلى وضع بعض القيود على دور مصر الإقليمي ، مع الوجود الإسرائيلي البارز الذي يلعب دوراً مزدوجاً مع الولايات المتحدة لتتجيم الدور المصري في المنطقة والحلول محلّه في المستقبل..
إن النظام السياسي المصري يحتاج إلى رؤية عصرية تحددها القيادة بالنتشاور مع أهل العقل والخبرة ، لكنهم مع الأسف إما أنهم غير فاعلين أو مغلوبون على أمرهم ..
إنني أعتقد أن السبيل الأوحى لاستعادة دور مصر هو الانطلاق من الداخل ، أو التحوّل إلى النموذج الديمقراطي الليبرالي الذي يقوم على أساس التداول السلمي للسلطة من دون استبعاد الآخرين ، مع توسيع دائرة المشاركة في الحياة السياسية للقوى المجتمعية كافة ، ومنها المجتمع المدني ، وإحداث طفرة في السياسات التعليمية والبحث العلمي ..
لا يمكن لدولة أو قوّة خارجية أن تهدد الأمن في مصر ، بقدر ما يهدده الوضع الداخلي من الحرمان الاقتصادي ، والتهميش

السياسي للقوى السياسية ، وتراجع التعليم والبحث العلمي " ..

3- في فبراير 2009 صدر تقرير من مجلس الاستخبارات القومي الأمريكي ويشير إلى تدهور المكانة الإقليمية لمصر خاصة في السنوات الخمس التي سبقت صدور التقرير .. وطبقاً لتقرير المجلس المذكور فقد أسند تراجع دور مصر الإقليمي إلى ما أسماها بشيخوخة حسني مبارك ، وعدم تمتع مصر بأي مزايا تنافسية مقارنة بباقي الدول المحورية في المنطقة ، وبضياع مصر بين تيارات سياسية إقليمية متضاربة سحبت المنطقة من تحت نفوذها لافتقادها أي مخطط سياسي أو اقتصادي جذاب ..

4- أما مجلة المشاهد السياسي التي تصدر من هيئة الإذاعة البريطانية ، فقد قالت في المقالة الافتتاحية لعددتها الصادر في 6 فبراير 2010 ما يلي :

" لا يمكن للمرء إلا أن يسلم بدور مصر «الهدّام» للقضية .. يدرك النظام المصري أنه فقد موقع صانع الأحداث وبات مجرد متفرّج ، لا بل مخزّب ، بعد عقود من ادّعائه العمل لنصرة القضايا العربية عموماً ، والقضية الفلسطينية خصوصاً ..

بعد إنهاء المقاطعة العربية مع مصر إثر إبرام اتفاق كامب ديفيد ، قدّمت مصر نفسها كلاعب إقليمي دوره حاسم لحلّ الأزمات العربية ، والتي نتجت من الصراع مع إسرائيل ، لتبرم اتفاقاً منفرداً مع تل أبيب بعد انتصار 1973، وهي حاولت رغم ذلك أن تصوّر للعالم نفسها على أنها حاملة القضية الفلسطينية وحاميتها ..

راحت تقدّم نفسها كمعلم ، وأجرت دورات تدريبية للمفاوضين الفلسطينيين في الخارجية المصرية ، لتلقينهم أساليب التفاوض مع الإسرائيليين ، وطوّرت مصر دورها من مدرب إلى راع للمفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية في مؤتمرات للسلام عقدت في شرم الشيخ وباعت كلها بالفشل .. وبالتالي ، كانت مصر تفقد وتمارس دوراً تعطيلاً بين إسرائيل والفلسطينيين ، ثم بين الفلسطينيين والفلسطينيين ، والسعوديين والسوريين ، ناهيك عن السودان واليمن وغيرها من الدول ..

ومع مرور الوقت وسقوط القناع المصري ، بدا واضحاً تحوّل الدور المصري إلى مسلسل درامي معاد يقتصر على استجداء المفاوضين الفلسطينيين ومناشدة الإسرائيليين والقوى الغربية ، من دون تحقيق أي خطوات على الأرض ، مع تصريحات مجترّة عن دعم حقوق الشعب الفلسطيني ، بينما تشيّد الجدران الفولاذية لخنق غزّة وشعبها .. وبالطبع ، فإن السياسة المصرية طوال الوقت كانت حريصة على تحقيق مصالحها الخاصة ، ولو على حساب الآخرين ، وشغلت دبلوماسيتها بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة علّهما يفوضانها دوراً للحصول على منح أو مساعدات ، أو حتى إبرام صفقات تصبّ في جيب السلطة المصرية بوصفها داعماً وحليفاً في عمليات التنسوية في الشرق الأوسط .. "

في الحلقة القادمة – إن شاء الله – سنفتح ملفاً آخر من ملفات حكم مبارك ، فإلى اللقاء ..

رانف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري – أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com